من صفات الداعية

تأليف

محمد الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من صفات الداعية

تأليف

محمد الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وأصلّي وأسلّم على سيد الدعاة إلى الله ، وعلى آله وصحابته الكرام الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله ، ونشروا رايات الإسلام خفّاقة في المشرق والمغرب ، حتّى علت كلمة الله ، وتحرّر الناس من الشرك والوثنية ، والظلم والمهانة ، وغيرها من ضروب الجاهلية .

أما بعد: فإن واقع المسلمين السيء اليوم بحاجة إلى إصلاح كما ان حاضر الإنسانية المشرف على الانهيار بحاجة إلى إنقاذ .

وليس هناك من وسيلة للإصلاح والإنقاذ إلاّ الإسلام وحده ، غير أنّ أهمّ الذي نفقده لتحقيق ذلك هو : عنصر الدعاة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان من الحق على كلّ ذي غيرة من الواعين أن يسهم في معالجة هذا الموضوع .

وهذه الرسالة تعالج الصفات الهامة التي ينبغي أن تتوافر في الداعية ، وهي في الأصل كلمة ألقيتها في ندوة إسلامية ، وقد اعتمدت فيها على تجاربي المتواضعة أكثر من اعتمادي على ما قرأته مما كتب في هذا الموضوع .

واقترح عليّ بعض الأفاضل نشرها رجاء أن ينفع الله بها ورغبة في أن تستكمل جوانب هذا الموضوع الهام بمتابعة الكتابة فيه .

وقد لاقت هذه الفكرة ترحيباً من أخي الاستاذ زهير الشاويش الذي تولى نشرها جزاه الله خيراً .

ونسأل الله السداد والتوفيق،وأن يجعلنا من الدعاة إليه العاملين بقوله سبحانه ﴿ ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وأن يهب لنا من لدنه رحمة ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٨٩

محمد الصباغ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

يجمع اليوم الأفاضل من المفكرين المسلمين على أن الحضارة الأوربية آذنت بالانصراف ، وأنها في طريقها إلى الانهيار ،وأن الإنسانية تبعاً لذلك ستقع في أزمة مروعة، وسيتهددها انتكاس عنيف ، وستنتابها كوارث وويلات في شتى شؤون الحياة المختلفة .

ويشارك هؤلاء الأفاضل المسلمين عددٌ كبيرٌ من الباحثين لأجانب ، أوروبيين وأميركيين ، من الذين ينظرون إلى الأمور نظرة تأمل وعمق ، حيث يقررون أن هذه الحضارة الضخمة قد استنفدت أغراضها ، وأن الناس أضحوا بحاجة متعاظمة إلى ما يملأ نفوسهم، ويعلنون بصراحة ووضوح:

أن حضارة أوربا وثقافتها ومذاهبها المتعددة أفلست ، وهي في سبيل الإفصاح عن ذلك . . إن عاجلا أو آجلا .

وقد سيطرت هذه الفكرة الحقة على الكاتب الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب في السنوات الأخيرة من حياته ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأصدر عدة كتب [1] ، تنبعث كلها من هذا المنطلق متأثرة به أبعد التأثر وأوفاه، وانتهى من ذلك إلى أن المستقبل لهذا الدين، يعرض هذا بأسلوبه الجميل، وبمناقشة علمية مؤيدة بالدليل، وبروح متفائلة مشرقة، وبثقة غير محدودة بالإسلام وطاقته وقدرته على أن يضبط شؤون الحياة ويحكم ويسود .

وما أظن أن هذه الحقيقة خافية على جمهرة القراء من الشباب المسلم الواعي ، ولكني مع ذلك افتتحت بها هذه الرسالة لأعرض بناء عليها تساؤلا يُلحّ على كل غيور .

ويمكنني صياغة هذا التساؤل على الشكل الآتي :

« إذا كانت الحضارة القائمة قد عجزت عن الوفاء بحاجات الإنسان .

وكانت عوامل الانهيار قد بدأت تنخر في كيانها .

وكانت الإنسانية متلهفة إلى فكرة قادرة على أن تحل مشاكلها، وتملأ جوانب النفس البشرية التي تشكو من الخواء الروحي والفراغ .

وكان الإسلام – وحده – هو الذي يستطيع أن يقوم

---

١ – مثل « الاسلام ومشكلات الحضارة » و « هذا الدين » و « المستقبل لهذا الدين » و « نحو مجتمع اسلامي » وهذا الكتاب نشرته مؤخراً للمرة الاولى مكتبة الاقصى في عمان .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بعملية الإنقاذ وأن يحقق كل ما تريده الإنسانية .

فما تفسير هذا الواقع المؤلم للدنيا عامة، وللمسلمين بشكل خاص ؟ »

إن السبب الذي لا بد أن يكون تفسيراً لذلك، بغض النظر عن العوامل الأخرى ،هو أن الدعاة الأكفاء مقصرون إن لم يكونوا معدومين .

المشكلة إذن مشكلة دعاة .

وأنا مدرك أن توافر الدعاة الأكفاء أمرٌ تقوم دونه عقبات كبيرة .

إنها مشكلة . . وما كانت مشكلة إلا لذلك .

وإنها لمشكلة صعبة . . غير أن صعوبتها توجب وتؤكد على العمل لحلها وتذليل مصاعبها ، وبقدر ما تكون صعبة فإن وجوب تلافيها يكون أشدّ .

إن الإسلام دين الله الخالـــــد .

وهو يحوي من عناصر البقاء والغلبة ما يجعله يتحدى كل الأنظمة القائمة .

وفيه من الأحكام كل ما يوفر للناس مبتغاهم في حياتهم الدنيا على مختلف وجوهها وشؤونها ، وكل ما يطلبون من السعادة في حياتهم الآخرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما توارى الإسلام جانباً ، وظهرت الأفكار الأخرى . . إلا لأن الإسلام محجوب بمساوىء أهله، ودعايات المغرضين، وبالجهود الضخمة التي رصدت لمحاربته، ولأن أتباعه في نوم عميق .

ولو أن أهله ودعاته قاموا، وحرروا المسلمين من مساوئهم، ووقفوا لتلك الدعايات والمؤامرات لكان هو الذي يحكم شؤون الناس في الدنيا ، ولوجدت فيه الإنسانية طلبتها .

إذن فالإسلام لا يحتاج اليوم إلى من يضيف اليه جديداً في عناصره ، ولو فُعل ذلك لما كان إسلاماً . . . وإنما الذي يحتاجه حتى يكون الحاكم : الدعاة .

لقد سبق أن قامت حركات عنيفة تناوىء الإسلام، وتكيد له، وتعد العدة للقضاء عليه . . ولكنها كلها قد باءت بالإخفاق، واندثرت وبادت . . وبقي الإسلام شامخاً ضخماً عظيماً؛ لأن صلاحيته للبقاء والخلود تحدت كل هذه المؤامرات والمكايد ، ولأن الدعاة الذين سخّرهم الله لحماية هذا الدين كشفوا زيفها للمسلمين ، وبينوا عُوارها، وانتصروا بفضل الله عليها، و كان ذلك انتصاراً للاسلام العظيم .

واليوم تجتمع على محاربة الإسلام قوى رهيبة مثل : الصهيونية ،والشيوعية، والإباحية، والاستعمار، والانتهازية ... وهي مسلحة بالقوة المادية والعلمية والحضارية . . ومن أجل ذلك فإنه يحتاج إلى الدعاة . .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الميدان فارغ . . وهو بحاجة إلى مزيد من الدعاة الأكفاء . فما الصفات التي ينبغي توفرها في الداعية الكفء ؟

صفات الداعية

إن الداعية الكفء هو ذاك الإنسان الذي أحس بالمسؤولية، وشعر بالمخاطر التي تهدد دينه وأمته وعالمه كما نوهنا بها آنفاً . . ثم نمّى قدراته . . وعمل على التحلي بالصفات الأساسية التي تعتبر اساساً للدعوة بمفهومها التبليغي الإيجابي .

وسأذكر عدة صفات أراها ضرورية ، وأود أن أشير إلى أنها جميعاً في حدود الإمكان والواقع ،وليست خيالا ولا من قبيل المبالغة .

لا بد للداعية من أن يكون متحلياً بالأمور الآتية :

١ ــ إيمان الداعية **العميق** ، **النامي** ، **الواعي**، بفكرته .

٢ ــ معرفة الداعية لأصول فكرته وخطوطها العامة .
وتوفر العزيمة لديه على استكمال معرفة الجوانب الجزئية والأحكام التفصيلية التي يحتاج اليها،والتي لم يتح له أن يعرفها . . . والشروع في ذلك ضمن إمكاناته واستعداده .

٣ ــ تطبيق ما يدعو اليه على نفسه حتى تكون حياته الشخصية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلوكه موافقين لما تقتضيه دعوته .

٤ ـ تدريب متواصل على الأساليب الناجعة في الدعوة، والأخذ بأحدث الوسائل التي تفتقت عنها حضارة العصر في هذا المجال ، وتطبيق قواعد علم النفس الاجتماعي ، والاستفادة من تجارب الخصوم من مبشرين وشيوعيين ومستعمرين .

٥ ـ الوعي التام لواقعه ، وعصره ، وبيئته، وربط هذا الوعي بوسيلة الدعوة .

٦ ـ توفر الأخلاق الاسلامية الكريمة في الداعية مثل : الصبر ، والإخلاص ، والقناعة وعدم الاستغلال ، والشجاعة والإقدام ، والجرأة والثبات .

٧ـ التفاهم بين الدعاة إلى الله ، وتنسيق خطواتهم في الدعوة حتّى يكمل بعضهم جهود بعض ، ولا بُدّ من وضع خطة للعمل الإسلامي ، والحرص على أن تنفذ مراحل هذه الخطة بكل دقة وأمانة وإخلاص .

هذه أهم الصفات التي لا بد من توفراها في الداعية، حتّى يكون قادراً على القيام بواجبه، وينجح فيه النجاح المطلوب .

. . . إنها مرتكزات أساسية . . وهناك أمور أخرى . . لا نقوى على استقصائها جميعاً .

فلندرس كلّ صفة منها على حدة، دراسة توضح المراد ،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك لأن بيان هذه المرتكزات التي تقوم عليها الدعوة أساس في معالجة هذا التقصير المشين الذي عليه واقع المسلمين اليوم ، ونرجو بذلك أن يتبين لنا الطريق، عسانا نعمل على الخلاص من هذا التقصير . .

وإنني موقن بأن الكتابة – وحدها – في مشكلة ما لا تحلّها . . ولا تكفي لتلافي التقصير .

إنني موقن بذلك، غير أنني أكتب ما أكتب إعذاراً إلى الله ، وخروجاً من التبعة . . ذلك لأن أساليب دعاتنا وطرق تبشيرنا بمبادئنا ، تحتاج إلى أن تناقش بشكل جذري، وأن يعاد النظر فيها كلها . .

إن الدعاة المخلصين موجودون – ولو كانوا قلة – ولكنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا الأساليب التي تقتضيها بيئتهم وصيغة مجتمعهم المتغيرة . . فمجتمعنا تتغير معالمه بسرعة تفوق التصور . . والدعوة الناجحة هي الدعوة التي يكون دعاتها قادرين على مواكبة هذا التغير ، باصطناع الأساليب الناجعة في معالجة مشاكل عصرهم وبيئتهم .

ليست الدعوة إلى الله عبئاً يلقيه الداعية عن كاهله ، ولا حملا يرغب في أن يتخفف منه ويطرحه عن ظهره . .

إنها أمانة ينبغي أن تؤدى على وجهها . . . وإلا فإن ذلك تضييع لها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الداعية مطالب بأن يحقق في نفسه هذه **الصفات** التي نوهنا بها آنفاً، ومطالب بأن يهتم بصورة خاصة بمعرفة **الوسائل الإيجابية** في الدعوة التي تضمن لدعوته النصر والتأييد .

ولا يجوز أن يقنع المسلمون بما هم عليه ، تخدعهم أعمال هينة تافهة عن أداء الواجب العظيم .

إن إدراكنا لوضع الدعاة الراهن يجب أن يكون حافزاً للعمل ، لا مثبطاً للهمة ، وعلينا أن نستبعد اليأس من طريقنا ، فليس لليأس مكان عند المؤمنين ، مهما ادلهمت الحياة ، و تكاثفت ظلمات السبل في وجوههم .

بل يجب أن يكون هذا التقرير بمثابة اكتشاف الانسان لمرض خطير حلّ في جسمه ، فهو يسارع إلى المعالجة والدواء . . بروح متفائلة ، كلها أمل ورجاء . .

إن هذه الصفات متداخلة ، ولا يمكن أن تدرس واحدة منها منفصلة عن الصفات الأخرى ، وكل منها يقود إلى الأخرى أو يلزم عنها .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ ـ الإيمـــان :

الإيمان هو المرتكز الأساسي الذي يصدر عنه الداعية . . وهذه الصفة بدهية ،لأن الدعوة إلى أمر لا يؤمن به صاحبه عمل متكلف، لا يؤثر ولا يفيد ، وسنتحدث عن أمور ثلاثة تتصل بالإيمان وهي : العمق ، والنمو ، والوعي .

أ ـ الإيمان بالإسلام.. أنه النظام الإلهي الوحيد، القادر على أن يقوم بإنقاذ الإنسانية من هذا الانهيار المتوقع . . وأن يوفر للإنسان السعادة الكاملة في الدنيا ، والنجاة الحقة يوم القيـــامة .

الإيمان بذلك إيماناً عميقاً، يتغلغل إلى أعماق الذات الإنسانية. ويملأ على المرء نفسه وكيانه . . . إيماناً يجعل الإنسان لا يعيش إلا لذلك ، ويموت في سبيل ذلك إن اقتضى الأمر أن يموت . . إيماناً يجعله يحدد علاقته بالناس على ضوئه . .

وهذا العمق في الإيمان دليل على صدق صاحبه . . وهو الإيمان الحق .

وهذا الإيمان العميق يسهل كل صعب ، ويذلل كل حزن ، ويستطيع أن يأتي بالخوارق.والأمثلة على ذلك كثيرة :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه الفتوحات التي انساحت في الدنيا المعمورة خلال فترة وجيزة .. أدخلت الإسلام إلى بلاد معينة .. وبقيت ديارَ الإسلام إلى الأبد ..

ولأضرب على ذلك مثلا آخر ، القصة الرائعة : قصة الطفيل التي نقف عليها في السيرة النبوية الكريمة .

كان الطفيل بن عمرو السدوسي يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها ، فمشى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً .

– قالوا له : يا طفيل ! إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد اشتد أمره علينا ، وقد فرّق جماعتنا، وشتت مرنا ، وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وأبيه ، وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجته .. وإنما نخشى عليك أوعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تُكَلّمَنّهُ ولا تسمعنّ منه شيئاً .

فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذنيّ حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[1] فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض

---

١ – أي قطناً

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله . . فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي : واثُكْلَ أُمي ! والله إني لرجلٌ لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته . . حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت : يا محمد ! إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا . . فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف ، لئلا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك ، فسمعته قولا حسناً ، فاعرض عليّ أمرك .

فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام ، وتلا عليّ القرآن . . فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه . . فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت :

يا نبي الله ! إني امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع اليهم وداعيهم إلى الإسلام .

وقد كان منه ذلك . . لقد دفعه إيمانه العميق الذي تغلغل في أعماق ذاته ، والذي بدّل حياته كلها، وجعلها رهناً بالدعوة إلى الإسلام . . دفعه إلى أن يقف من أبيه الموقف الذي يحدثنا عنه فيقول :

فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخاً كبيراً ، فقلت : إليك عني يا أبتِ ، فلستُ منك ولستَ مني .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ قال : ولم يا بنيّ ؟

ـ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد .

ـ قال : أي بنيّ ! فديني دينك .

ـ فقلت : اذهب، فاغتسل ، وطهّرْ ثيابك ، ثم تعال أعلّمك ما عُلّمْتُ .

فذهب ، فاغتسل .. ثم جاء .. فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

وكذلك وقف هـذا الموقف ذاته من زوجته ، يقول الطفيل :

ثم أتتني صاحبتي ، فقلت :

ـ إليك عني ، فلستُ منك ولستِ مني .

ـ قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ؟

ـ قلت : قد فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد .

ـ قالت: فديني دينك .

ـ قلت : فاذهبي وتطهري . .

فذهبت فاغتسلت .. ثم جاءت، فعرضت عليها الإسلام . . فأسلمت .

إن إيماناً عميقاً جدّ في حياة هذا الرجل، فجعل الدعوة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمراً يصدر عنه دون تكلف . . إنه بذلك يمارس حياته .

وهكذا .. انطلق يدعو قبيلته إلى الإسلام مجاهدا صابراً.

وهنا أود أن نقف لنوازن بين الطفيل هذا وبين كثير من الدعاة اليوم .

هل يقف الداعية اليوم من زوجته وأقاربه وجيرانه مثل هذا الموقف الذي يقتضيه الإيمان العميق ؟

هل يعلق الدعاة اليوم مصير علاقاتهم بأهليهم والناس أجمعين بدعوتهم كما صنع هذا الرجل ؟

أكاد أجزم بأن معلومات أكثر الدعاة أوفر من معلومات الطفيل عندما وقف هذا الموقف الصلب المتين . . لأنه لم يكن قد مضى عليه زمان طويل في الدعوة حينما دعا إلى الله أباه وزوجه وأبناء عشيرته، كما يدل على ذلك سياق القصة التي أوردتها آنفاً [1]

إن الإيمان العميق يصنع الرجولة التي تحتاج اليها الدعوة.

إن الإيمان العميق هو الذي يبعث الحرارة والحيوية والحركية.

إن الإيمان العميق هو الإيمان الذي يوقد لهيب الحماسة في صدر صاحبه .

---

١ – واضح من سياق القصة انها كانت في العهد المكي ، والمعروف ان العناية في هذا العهد كانت موجهة الى العقيدة اكثر من اي شيء آخر ، ويبدو ان الطفيل تزود بالزاد الكافي في شأن العقيدة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب ـ والإيمان الذي هو مرتكز الداعية الأول ينبغي أن يكون نامياً .

ونمو الإيمان أمر مهم في موضوع الدعوة .

فلا يكفي أن يكون الإيمان عميقاً . . بل لا بدّ أن يكون نامياً . .

يجب أن ينمو، وأن يظل حافزاً للمسلم كي يزداد تعلقاً بالاسلام ودعوةً له .

وعلى الداعية أن يجعل نمو إيمانه مطرداً ، بحيث لا تخفف ألفة الإيمان من شدة التهابه .

ونحن نعلم من سيرة السلف الصالح، رضي الله عنهم، أن واحدهم كان يقول لأخيه :

« اجلس بنا نؤمن ساعة »[1]

لقد أدركوا أن اجتماعهم على الخير يزيد من تعلقهم به ، وأن تذاكرهم بشؤون الإيمان والعقيدة مما ينمي الإيمان ويزيده ويجعله رابياً .

والإيمان يزيد وينقص ، وأميل إلى أنه إن لم يزد فإنه يأخذ في النقص، لأنه سمو وصعود ، والماء الذي تدفعه مضخة بين أمرين لا ثالث لهما : إما ارتفاع وإما نزول . . أما أن

---

١ ـ رواه احمد باسناد حسن، ورواه البخاري معلقاً (كشف الخفا ١/٥٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبقى في مكانه فذلك مستحيل .. وهكذا الشؤون الروحية لكثرة المفاسد والمنكرات والشهوات .

إن القناعة الفكرية المجردة ، والإيمان النظري شيء ، والإيمان المبلل بندى الوجدان شيء آخر ؛ فالاقتناع بأن ١ + ١ = ٢ غير الإيمان بأن فكرة ما هي التي يجب أن تسود وهي سبيل الإنقاذ في الدنيا والآخرة ، إنقاذ صاحبها وأمته والبشر قاطبة .

صحيح أن القناعة يمكن أن تبقى على حالها ، غير أنّ الذي أعنيه هو ذاك الإيمان الذي يحتاج إلى النمو .

إن على الدعاة أن يتذكروا ـ دائماً ـ أن الإيمان نعمة جليلة أنعم الله بها عليهم ، وأنه يلزمهم شكرها ليزيدهم الله من فضله (يمنون عليك أن أسلموا . قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم ، بلِ الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) [1]

إن عليهم أن ينموا هذا الإيمان عن طريق الوجدان والعاطفة من جهة ، والعلم والفهم من جهة ثانية ، هذا وإن الموازنة بين حالهم المطمئنة الآمنة وبين حال غيرهم القلقة المتردية لها دور هام في نموّ الإيمان .

ج ـ والإيمان الذي هو المرتكز الأول للداعية يجب أن يكون واعيـاً .

---

١ ـ الحجرات : ١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إيمان الداعية ينبغي أن يكون إيمان الواعي للفكرة المقتنع بها . . لا إيمان المقلدين الذين لا يعون شيئاً من فكرتهم ، ولم يتسلحوا بما يحميهم من كل تشكيك .

ومن المؤسف أن يكون الإيمان الواعي صفة تنقص كثيراً ممن يتصدون للوعظ . . وقد يعتذرون عن بعض المواقف التي تتنافى مع الوعي بأن استغراقهم في قضية آمنوا بها ، واندماجهم بها جعلهم لا يلتفتون إلى اي شيء آخر .

الإيمان الواعي هو الإيمان اليقظ . . المتنبه . . الفاهم . . العـــالم . .

وهكذا . . فإن الإيمان العميق سبب أساسي للتأثير على الناس ولنجاح الخطة الموضوعة .

والإيمان النامي سبب لاستمرار الدعوة والثبات عليها .

والإيمان الواعي سبب للسلامة من كل انحراف وزيغ .

وبذلك نستطيع أن نجد الإيمان الدافع إلى العمل الصالح ، وهذا هو الإيمان الحق ،مصداق ما جاء في الأثر : « ليس الإيمان بالتمنّي ، ولكنه ما وقر في الصدر وصدقه العمل »[1] .

ولأمر ما عظيم ، وحكمة بالغة نرى إلحاح القرآن الكريم على ربط الإيمان بالعمل ،في عديد من آياته زادت على الستين .

---

١ – هذا الاثر مروي بسند جيد عن الحسن البصري من كلامه ، وروي مرفوعاً عن أنس بسند ضعيف (انظر شرح المناوي عند كلامه على الحديث في موضعه من شرح الجامع الصغير) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ – المعـــرفة :

هناك نفر من الشباب المتحمسين توفرت فيهم صفة من صفات الإيمان الثلاث التي أشرنا اليها قبل قليل ، فترى إيمان أحدهم عميقاً إلى أبعد حد، ويحسب أنه بذلك يستطيع أن يكون داعية، على قلة بضاعته في العلم، وضآلة معرفة دينه المعرفة الحقة، وهو في هذا الظن مخطىء .

وهذا العنصر الهام مجال لسوء تفسير كبير . .

فقد يذهب بعض الناس في فهمه إلى تعطيل الدعوة، بحجة أنّ المتصدي للدعوة لم يُحصّل المعرفة المطلوبة التي تتيح له أن يقوم بواجب الدعوة .

وقد يردّ على هؤلاء المخطئين من يُهوّنُ من شأن المعرفة ، ولا يرى ضرورة لأن يعرف الداعية شيئاً أكثر مما يعرف عامة الناس .

وكلا الرأيين غلط . . والحق وسط بينهما .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن المعرفة وحدها لا تصنع من صاحبها داعية قط ، ولكنها شرط لازم لا بدّ منه في الداعية الذي توفرت له الصفات الأخرى ، وتفصيل القول في ذلك يكون كالآتي :

لا يمكن أن نطالب الداعية بالمعرفة التامة الشاملة للجزئيات والكليات في دينه . . إنّ ذلك تكليف فوق الطاقة .

والمعرفة – كما يقول أهل العلم – بحرٌ لا تعرف له نهاية . . يقضي المرء سبعين سنة من عمره في البحث والمطالعة والتأليف ، ولا تزال تتكشف له في كل يوم جوانب من المعرفة لم يسبق له أن اطلع عليها ، وصدق الله العظيم :

﴿ ومَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إلاّ قَلِيلا ﴾ (١)

إذن فإن المعرفة التي نتطلبها من الأخ الداعية على نوعين :

أ – **معرفة للأصول العامة لفكرته** ، وللخطوط العريضة فيها ، وللمقاصد الأساسية التي جاء الإسلام لتحقيقها ، وللكليات الكبرى التي تنتظم كثيراً من الأحكام التي يحتاجها كل مسلم مما عرف من الدين بالضرورة .

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى بعض الدراسات التي يتطلب أن يعرفها :

أولها : أن يكون قد قرأ القرآن كله وقرأ تفسيراً موجزاً يبصره بالمعنى الإجمالي للآيات المحكمة .

---

١ – الإسراء : ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وثانيها : أن يكون قد وقف على طائفة جيدة من الأحاديث الصحاح وفهم معناها الإجمالي .

وثالثها : أن يعرف من أحكام دينه ما يمكنه من القيام بالعبادات على الوجه الصحيح . وأحكام ما يحتاج اليه من المعاملات .

ورابعها : أن يحيط بأصول العقيدة ويتعرف اليها .

وخامسها : أن يطلع على السيرة النبوية.. وإنها لأمر هام .. لأنه يجد فيها التطبيق الحي للفكرة الإسلامية ، والسبيل الأمثل للدعوة ، والمهم في ذلك أن يطلع على موجز لأحداثها .

ويمكننا أن نلحق بما سبق، دراسة طرق الدعوة ، وأصول التبليغ المناسبة لوسطه وبيئته . ومعرفة الأصول العامة للأفكار المناوئة لفكرته ،السائدة في مجال من يدعوهم إلى الإسلام، ومعرفة مآخذها وعيوبها .

ب ــ عزم على التعرف على الفروع والجزئيات .. وشروع في هذا التعرف ، ذلك أنّ الوقوف على الفروع وإدراك حكمتها يكمل معرفة الأصول والكليات ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ظروف الدعوة قد تعرضه إلى مواقف محرجة . فقد يأتيه سؤال من إنسان ما . . ولا يليق أن تتكرر اعتذاراته بعدم المعرفة . هذا وقد يكون هو نفسه المضطر إلى أن يتصرف أمام الناس بتصرف معين . . .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأود أن أنبه إلى أمرين اثنين :

* أولهما يتعلق بالشروع بالدعوة

* وثانيهما يتعلق بالمطالعة والكتب

أما الأمر الأول فهو من الأهمية بمكان كبير ليفهم الكلام السابق على الوجه الصحيح الذي أردت ، إنني ذكرت ماذكرت لإيجاد الداعية الكفء، وليس معنى هذا أنه لا يجوز لمن لم تتوفر له المعرفة في الإطار السابق أن يدعو إلى الله . . كلا ...

إن كل ما يقوى عليه المرء يجب أن يؤديه . . فمن رأى منكراً وكان قادراً على إزالته وجب عليه أن يسارع إلى إزالته . . ومن رأى غافلا ورأى نفسه مستطيعاً أن يذكره لزمه أن يذكره .

فالشروع في أمر الدعوة إلى الله لا يتوقف على قدر معين من المعرفة . . . إنّ عليه أن يصدع بما يراه حقاً ، بالشكل المناسب . . وعليه – إلى جانب ذلك – أن يتابع تزوده من المعرفة التي تضيء له معالم الطريق وتدله على الصراط السويّ .

والأمر الثاني الذي لا يجوز بحال من الأحوال إغفاله هو الاستمرار في المطالعة والقراءة والتعلم، واليوم الذي تشغل شؤون الدعوة الأخ عن المطالعة هو اليوم الذي ينتهي فيه .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ماذا يقرأ ؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هناك نوعان من الكتب الإسلامية لا يغني أحدهما عن الآخـــر :

١ ــ الكتب الإسلامية الحديثة : وهي كتب تعرض الإسلام بلغة العصر ، وتعالج مشكلات الناس الآنيّة ، ومن فضل الله على هذا الجيل أن الدراسات الحديثة أصبحت تشكل مكتبة إسلامية ضخمة .. إنها نعمة كبرى .. و إنني لأذكر أننا عندما كنا صغاراً لم نكن لنجد من الدراسات الإسلامية إلا النزر اليسير .. رسائل معدودة .. لا تكاد تعد شيئاً أمام هذه الثروة الهائلة التي ننعم بها هذه الأيام .

فباستطاعة الأخ الداعية أن ينمي ثقافته بالممتع المفيد ، المكتوب بأعذب بيان ، كما يستطيع أن يضع بين أيدي الناشئة ممن يريد أن يدعوهم بعض هذه الكتب .

ولا يقوى أحد أن يدعي أن هذه الدراسات قد بلغت مرحلة الكمال والشمول والوفاء بكل ما يود المرء أن يطلع عليه .. ولكنها شيء جيد على أي حال .

كما لا يقوى على ادعاء أن كل ما تضمنته من آراء صحيح يعبر عن وجهة نظر الإسلام .. لا .. إن فيها الغلط كما فيها الصواب .. وليس أحد معصوماً .. ولكني مع ذلك أشعر من الأعماق أني مَدين لهؤلاء بالشكر ، لأنهم حاولوا محاولات مخلصة لعرض الفكرة الإسلامية بما يستطيعون .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمستقبل كفيل بتصحيح الآراء المعوجة والانحرافات .

الكتب الإسلامية :

إن هاتيك الدراسات الحديثة لا تكفي بحال من الأحوال لتكوين المعرفة السليمة المطلوبة، لأن تلك الدراسات إنما كتبت في ظل هذه الحضارة الأوروبية الغازية ، وتحت ضغط شيوع النزعات المادية التي تسود العالم اليوم . .

وكانت معظم هذه الكتابات بمثابة ردود فعل ، ولا شك في أن ردود الفعل لا تكون سليمة تماماً ، مهما بُذل في سبيل تجنب الانحراف والتطرف .

ولدينا على ذلك أمثلة عديدة[1] وليس المجال مجال سردها .

ومن هنا كان لا بد من أن يطلع الأخ الداعية على دراسات قديمة كتبت في جوّ يخلو من هذا التأثير وذاك الضغط .

أضف إلى ذلك سبباً نفسياً عميقاً، وهو أن الموضوع عندما يكتبه المرء، وهو فرد من أمة قوية متمكنة حاكمة للدنيا، يختلف عن الموضوع الذي يكتبه فرد من أمة مستضعفة مغزوة مغلوبة على أمرها .

---

١ – نشير الى موضوع الجهاد وكونه « دفاعياً أو هجومياً » والى موضوع « أهل الذمة » أو إلى موضوع « موقف الاسلام من الحرية ومن النزعات الاقتصادية الحديثة» .

إنّ الاطلاع على كتب ثقافتنا القديمة أمر هام ، ولكنه يأتي في المرحلة الثانية؛ لأن العبارة القديمة تصعب على شبابنا المثقف ، غير أنه أمرٌ لا بد منه ، وتتعاظم حاجتنا اليه كلما ازداد تأثرنا بالغرب وثقافته .

والمعرفة التي نبتغيها في الداعية معرفة مقرونة بالخوف من الله ، والورع .

وإننا لنرى في عصرنا هذا كم جنت المعرفة بالإسلام عندما تفارق خشية الله والتنزه عن الشبهات ، كم جنت تلك المعرفة على الإسلام . . فما زلنا نذكر تلك الأصوات العلمية الآثمة التي ارتفعت في هذا العصر تبيح ما حرّم الله .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ ـ الرياضة والسلوك :

إن المجتمعات الإسلامية الراهنة قد انحرفت عن المستوى الذي يريده الإسلام، وغياب الإسلام عن الحكم والسيادة ضاعف في خطورة هذا الانحراف ، هذا مع قوة غزو الحضارة الأوروبية ، ووسائلها الفعالة ، مما جعل أعراف الناس مجانبة مفاهيم الإسلام، وجعل الشهوة تستعلن ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية تستحكم . . إن هذا الوسط الصعب ينبغي أن يؤخذ في الحسبان بالنسبة إلى الداعية . . إننا جميعاً بشرٌ نتأثر بالوسط الذي نعيش فيه . .

فعلى الأخ الداعية أن تكون له العزيمة الغلابة المصممة، التي تحمله على أن يأخذ نفسه بشيء من الحزم،ويروضها على ما يريده الإسلام ، ويسعى لتطبيق ما يعلم على نفسه .

إنّ عليه أن يضع جانباً كل الاعتبارات التي تخالف الإسلام، وألا يعبأ بشيء منها، مهما كانت نظرة الناس إليه .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعليه أن يُغلّب إرادته على شهوته ، لتستقيم شؤون حياته وفق عقيدته .

وعليه أن يتحرر من أمر نفسه وهواه، فما أكثر ما دمرت نفوسٌ أصحابها، وقتلت أهواء عبيدها .

فإذا استطاع الداعية أن يُروّض نفسهُ ،وأن ينجح في هذه الرياضة ، ضَمِنَ لنفسه السلوك النظيف المستقيم .

ولسلوك الداعية المستقيم أثر كبير في نجاحه ، وتاريخ الدعاة يدل على هذه الحقيقة . . بل إن واقعنا الذي نعيشه يشهد بذلك .

إن الداعية الناجح هو الذي يقدم في سلوكه الترجمة الحية لما يدعو الناس اليه .

وكثيراً ما نقرأ في كتب التراجم أخبار أناس دخلوا في الإسلام، بسبب معاملة كريمة يدعو اليها الإسلام، قام بها داعية مستقيم .

ومن الشواهد البليغة على عظيم تأثير السلوك والعمل ما تقرره كتب السيرة في صلح الحديبية،الذي كان وقعه شديداً على المسلمين :

(لما انتهى امر الصلح ، أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم ، وينحروا الهدْي،ليتحللوا من عمرتهم ، فاحتمل المسلمون من ذلك هماً عظيماً ، حتى إنهم لم يبادروا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالامتثال ، فدخل ﷺ على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها :
« هلك المسلمون ، أمرتهم فلم يمتثلوا »

فقالت : يا رسول الله ! اعذرهم ، فقد حملت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ، ورجع المسلمون من غير فتح ، فهم لذلك مكروبون ، ولكن اخرجْ يا رسول الله،وابدأهم بما تريد ، فإذا رأوك فعلت اتبعوك .

فتقدم ﷺ إلى هديه فنحره ، ودعا بالحلاق فحلق رأسه .

فلما رآه المسلمون تواثبوا على الهدي،فنحروه، وحلقوا).

فلم يمتثل المسلمون في بادىء الأمر لكلام رسول الله ﷺ، لكنهم عندما رأوه يفعل ما أمرهم به تواثبوا إلى هديهم مستجيبين.

وإذا كان الداعية مرموقاً منظوراً اليه تضاعفت المسؤولية عليه لأنه مُتبَع .

وكثير من الناس يبيحون لأنفسهم أن يرتكبوا المخالفات لمجرد أن رأوا رجلا موثوقاً يفعلها . . ولو أنكر عليهم مُنْكِرٌ لأجابوه : إن فلاناً يفعل ذلك .

وإذا اختلف قول الداعية عن فعله فالناس إزاءه فريقان :

ـ فإما أن يكونوا واثقين به وهؤلاء صنفان: أولهما حسن الظنّ يؤول عمله قائلا : إن فعله دال على الجواز وقوله منصرف إلى الكمال . . وما دام جائزاً فلا شيء علينا في فعله .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصنف الثاني : تنعدم ثقته حالما يطلع على هذا الازدواج المقيت، وتتزلزل ثقته بدعوته، وهناك عدد من غلاة الملحدين نشؤوا في بيوت إسلامية قائمة على الازدواج ، ولعل هذه النشأة سبب في إلحادهم .

— وإما أن يكونوا غير واثقين به أصلا. فيهاجمونه وفكرته، ويقولون فيه : إنه دجال يريد أن يضع الناس في أقفاص من الأوهام، لمصالح يجنيها هو وشركاؤه . . ويتخذون مثل مثل هذا السلوك متكئاً وممسكاً .

وما أجمل قول أبي الأسود :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلاّ لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

إبدأ بنفسك فانهها عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى
بالقول منك ، ويقبل التعليم

لا تنْه عن خلق وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما أروع كلمة شعيب عليه الصلاة السلام :

﴿ ومَا أُرِيدُ أن أُخَالِفكم إلى ما أنهاكم عنْهُ . إنْ أُريدُ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب﴾ (١) .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ يا أيها الذينَ آمَنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كَبُرَ مَقْتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (٢).

وقد نستطيع أن نرد إخفاق كثير من الدعاة إلى أنهم لم يستطيعوا أن ينسجموا في سلوكهم مع ما يطالبون الناس أن يكونوا عليه .

ومن الأمثلة الجيدة في هذا الموضوع الخبر الآتي :

كان من الدعاة إلى الله ملك عظيم ، وسلطان ذو فضل على المسلمين .. إنه نور الدين محمود الشهيد . . وكان هذا السلطان البطل يدعو الناس إلى امتثال الشرع والحضور إلى مجالس القضاء الشرعي ... وكان يقول : لافرق أمام الشرع بين كبير وصغير .. واشتهرت عنه هذه القالة .. حتى أصبح الأمراء والكبراء والتجار لايترددون في الحضور لمجلس الشرع وامتثال أمره . وأصبح هؤلاء سواسية مع الناس الآخرين ،

---

١ – هود : ٨٨

٢ – الصف : ٢ – ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحدث أنه بينما كان الملك نور الدين يقوم بتمرينه الحربي، إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومىء إلى نور الدين .

فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ؟ فإذا هو رجل معه رسول من جهة القاضي ،فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك، ألقى ما بيده من أدوات التمرين، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي ، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن : لا تعاملني إلا معاملة الخصوم .

فحين وصلا، وقف نورالدين مع خصمه بين يدي القاضي، شأنه في ذلك شأن أي خصم آخر ، وبقي واقفاً حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حـــق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل .

فلما تبيّن ذلك قال السلطان :

إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشـــرع إذا دعي إليه ،فإنما نحن معاشر الحكام خدم لرسول الله،وحراس لشرعه،وقائمون بين يديه وطوع مراسيمه،فما أمر به امتثلناه، وما نهانا عنه اجتنبناه . وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم أني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له[1]

وإنها لقصة عظيمة، تدل على مدى تفهم هذا الداعية الكبير

---

١ – البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لهذا المعنى ، ومن هنا لم يبح لنفسه أن يتخلف عن استدعاء القاضي ، وخشي أن يضعف القاضي أمامه – وقد كان يحكم العالم العربي كله – فلا يُسوي بين الخصمين ، فأرسل اليه يلفت نظره الى وجوب التسوية بينه وبين خصمه .

والشواهد على ذلك كثيرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤ ــ التمرين والاستفادة من خبرات الآخرين :

إن التمرين على أمرٍ ما يكسب صاحبه خبرةً لا يتاح لــه أن يطلع عليها في كتاب، وقدرةً فائقة على ممارسته .

وقد أدرك هذه الحقيقة أرباب الصناعات والمهن ، فأنت ترى الطبيب لا يمكن أن يعطى الشهادة ما لم يتمرن فترة مــن الزمان ، وكذلك المحامي لا يستطيع مباشرة العمل إن لم يعمل ــ أول الأمر ــ تحت إشراف بعض المتقدمين في المهنـــة. وكذلك المعلمون .. والقضاة ..وأرباب الحرف .. ذلك لأن إدراك حقائق العلم أمر يختلف عن ممارسته في الحياة العملية .

لن يكون أحد ما بين عشية وضحاها داعية موفقاً ... ان لم يمض فترة يتمرن فيها، والخطأ ضروري ليستفيد صاحبــه فيجتنب مواضعه .

وإن من أهم ما يجب على الداعية فعله أن يقف على جهود إخوانه الذين سبقوه في طريق الدعوة إلى الله، وأن يستفيد من تجاربهم .. إنه بذلك يوفر على نفسه كثيراً من المتاعـــب المصاعب، ويختصر كثيراً من مسافة الطريق .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهناك وسائل عديدة للدعوة يجب أن يكون في صفوف الدعاة إلى الله من يتقنها، وهي وسائل متعددة، وهي متفاوتة في الصلاحية للناس، بحسب البلد، والثقافة، والوضع الاجتماعي..

ومن أهم الوسائل التي لا يجوز إهمالها :

* الخطابة والمحاضرة
* الصحافة
* النشر
* الاذاعة والتلفزيون
* الصلات الشخصية من مثل :
* الود . النصح . الهدية . التوجيه من خلال العمل
* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهناك وسائل أخرى كثيرة

ويجب أن تكون الدعوة الإسلامية مستوعبة للوسائل الحية المستعملة في عصرها ومكانها ، واذا ما أدركت نقصا في إمكانياتها في حقل فعليها أن تعمل على تلافيه .

الخطابة :

* فالخطابة موهبة تُنَمّى بالتمرين والتدريب، ويستفاد من تجارب الخطباء القدامى، وهناك دراسات وافرة في الخطابة وأصولها .. تنفع الأخ الذي يريد أن يكون خطيباً ..

وما يزال للخطيب دور هام جداً في الدعوة إلى الله .

وخطبة الجمعة مجال مناسب . . ومن الضروري أن يعلو منابر المسلمين الأكفاء ،الذين يبثون فيها الحيوية ويحققون بها الغرض المطلوب .

ولئن حيل بين الأكفاء وبين المنابر فَلْيُسْتَغَلّ وجودُ الناس في صلاة الجمعة ، وليتقدم هؤلاء إلى المنبر بعد الصلاة .

أما الموضوعات التي تطرق،فمن الواجب أن يكون اختيارها نتيجة لدراسة عميقة بعد تقليب وجوه الرأي ، فيقدم الأهم على المهم ، وليحذر الأخ الداعية من التصدي لموضوع يصدم الجماهير . . إنه بذلك يكتب على نفسه الإخفاق الذريع . .

لنترك مؤقتاً الموضوعات التي ينفر منها السامعون، أو التي لا يقوون على تنفيذها حتى ولو اقتنعوا . ولنبدأ بالمهم . ولنربط دائماً بالأسلوب السهل الجميل بين الواقع وبين الفكرة . ولنكثر من الأمثلة . . وبعرض المثال تظهر براعة الخطيب . . إنّ عليه مثلاً أن يستخدم القصة لتحقيق مراده .

المحاضرات :

• هذا في الخطابة . . . وأما المحاضرات فيجب أن يتوفر في المجتمع المسلم محاضرون دعاة، يبحث الواحد منهم في محاضرته

موضوعاً، ويوفيه حقه من الناحية العلمية بروح إسلامية .

الصحافة :

* والصحافة أداة عظيمة من أدوات الدعوة . . وهي صاحبة نفوذ كبير ، حتى دعوها بصاحبة الجلالة .

والحق أن ميدان الصحافة ميدان يكاد يكون خالياً من الدعاة إلى الله . . وهذه الملاحظة الأليمة عامة في كل بلاد المسلمين . .

وأهميتها كبيرة بالنسبة للدعاة في كل مستوياتها بدءاً من المخبر وانتهاء إلى رئيس التحرير .

وإنّ رجال الدعوة الإسلامية لمسؤولون عن هذا التقصير الذي يعود بأكبر الضرر على الدعوة وحملتها .

ولئن قصرت الإمكانات المادية عن إصدار صحف ومجلات تتبنى الإسلام وتدعو له، فلا أقل من أن نجد الصحفيين المسلمين، الذين يستطيعون أن ينفذوا بدعوتهم من خلال الصحف القائمة .

ولقد رأينا في كثير من البلدان الإسلامية، شباباً أتقنوا هذه المهنة، واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على صحف تلك البلاد ، واستطاعوا، ببراعة تستلفت النظر، أن يخدموا فكرتهم المنحرفة من حيث لا يشعر خصومهم ولا يدرون .

والخبرة . . عن طريق الممارسة . . والمعرفة عن طريق الدراسة . . كلاهما طريق على الأخ الداعية أن يسلكه .

النشر :

* والنشر سواء كان عن طريق رسالة أو بحث أو مؤلّف أو بيان ؛ وسيلة ناجحة في خدمة الدعوة ، لأن للكلمة المكتوبة من التأثير والسحر ما ليس للكلمة المسموعة ، والخطورة في هذه الوسيلة أن تستبد الرغبة بالكسب عند الناشر حتى يصل إلى الغبن الفاحش . .الذي ينفر القراء ،ويحول دون انتفاع الكثرة الكاثرة .

الاذاعة والتلفزيون :

* والإذاعة والتلفزيون أداتان لا تتقدمهما أداة على الإطلاق في نظري بالنسبة إلى قوة التأثير وانتشاره . . واليوم الذي تملك الدعوة فيه مثل هذه الوسائل تستطيع أن تضمن لنفسها الغلبـــة .

الصلة الشخصية :

* وقد تكون وسيلة الدعوة صلة شخصية ؛ كأن يستفيد من الصداقة والمودة التي يحكِمها مع أناس يتوسم فيهم الخير ، ثم يستميلهم إلى الدعوة ، والهدية تلعب دوراً هاماً في المودة ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : « تهادوا تحابوا »[1] .

* وكأن ينصح بالأسلوب الرقيق الانسان المنحرف ، ويأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر .

* وكأن يسخر عمله لخدمة دعوته،ومن أهم الأعمال تأثيراً على الناس التعليم ، فالمدرس يستطيع أن يقوم بواجب الدعوة إلى الله على الوجه الأكمل إذا عزم على ذلك .

الأسلوب :

ومهما تكن الوسيلة التي يتخذها الداعية فإنّ عليه أن يبالغ في التلطف ، والقول اللين ، حتى يغرس في نفوس الناس حبه ، فالله تعالى يخاطب نبيه محمداً الذي أيده بالرسالة قائلا: ﴿ ولو كنتَ فظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِن حَوْلِكَ﴾[2]

ويأمر موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون ، وأن يتقيدا بهذه الوصية الرائعة : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً ليّناً لَعَلّهُ يَتَذَكّر أوْ يَخشى﴾ [3] .

ومن المفيد الممتع أن نقرأ بكثير من التأمل دعوة الرسل لأقوامهم ، كما قصّها علينا القرآن الكريم،لنجد فيها النبراس الهادي ، والقدوة الحسنة .

---

١ – رواه النسائي وقال القراني : سنده جيد: وقال ابن حجر :سنده حسن.
٢ – آل عمران : ١٥٩
٣ – طه : ٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التخصص :

وأخيراً فمن المجدي في نطاق الدعوة أن يكون هناك تخصص :

فيتخصص نفر لدعوة العوام من الناس

ويتخصص نفر لدعوة المثقفين .

وإن زاد التخصص كان أحسن فائدة، وأكثر عائدة، فمثلاً في دعوة العامة : يختص نفر بدعوة التجار، ونفر بدعوة العمال، وثالث بدعوة الفلاحين، وكذلك الأمر بالنسبة للمثقفين : يتخصص قسم للطلاب، وقسم للخريجين .

وتكون أقسام للإناث موازية لأقسام الذكور .

إن المتخصص يستطيع أن يتحسس مشاكل هؤلاء المدعوين، ويفهم نفسياتهم بشكل جيد ، ويحقق من النجاح ما لا يستطيع غيره أن يحققه .

٥ ـ الوعي :

إن الداعية الذي نريد ، يجب أن يكون واعياً عصره وواقعه ، مطلعاً على الحضارة الغازية وثقافتها ،ويجب أن يربط ذلك بفكرته الإسلامية .

ويجب أن يقوده الوعي إلى مزيد من الدراسة لواقع الذين يريد أن يدعوهم ، ذلك أن المبشرين بالأفكار المعادية يصدرون عن دراسة موضوعية علمية للأوساط التي يبشرون فيها .

وعلى ضوء هذه الدراسة الواعية يختار الداعية الطريقة المناسبة . . إن ما يصلح لبلد ما ربما لا يصلح لبلد آخر .

وما كان يفيد قبل أربعين سنة لم يعد هو المفيد الآن . . لا بد من الوعي الذي يربط الواقع بالفكرة ،ثم يتصرف التصرف الصحيح المناسب .

وهذا الوعي يدفع صاحبه إلى اغتنام الفرصة المواتية ، والحياة فرص، والجاهل الأحمق هو الذي يبكي على الفرص بعدما تضيع .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الوعي يفرض على الناس احترام صاحبه ، ويحول دون أن يستغله مستغل ، فمثلا الخوض في بعض الأبحاث التي لم يتعرض لها الدين . . الخوض فيها على أنها من الدين موقف ينافي الوعي . . وذلك كالقول بأن الأرض ليست كروية الشكل،وأنّ الدين ينص على ذلك ، وأنّ الأرض لا تدور . . وتحميل نصوص القرآن ما لاتحمل ... إلى آخر ما هنالك من القضايا التي لا علاقة للدين بها ، فليس القرآن كتاباً في الفلك أو الجغرافيا .

إننا لنرى ألواناً من الاستغلال يُستغلّ فيها بعض الذين يُسمّوْنَ بالدعاة أبشع استغلال ، وأنا عارفأن بعض هؤلاء دجالون يتاجرون بالإسلام ولا يُستغلون بالمجان . . وإنما يتقاضون الثمن بخساً أحياناً وضخماً أحياناً ، غير أنه يوجد إلى جانب هؤلاء ناس ليسوا بالدجالين . . ولكنهم استغلوا لفقدانهم الوعي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦ ـ توفر الأخلاق الإسلامية الكريمة في الداعية :

وسأذكر أربعة منها لأهميتها :

(١) الإخلاص :

وهو أمر في أعماق القلب ، لا يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى ، ولكنه يتجلى في أمور عديدة ، وثمرته تبدو واضحة جلية في مجال الدعوة .

ومن هنا نرى الفرق واضحاً بين رجلين تساويا في أمور كثيرة ؛ ولكنهما اختلفا في الإخلاص .

يتجلى الإخلاص عند الداعية في أن لا يريد من دعوته إلا وجه الله .

فلا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة ، ولا يهمه كثيراً أن يكون مرفوعاً أو أن يكون مغموراً بين الناس .

ولا يبالي بالناس ولا بثنائهم . . ولا يسعى أبداً لكسب إعجابهم ، ومحبتهم ، ومدحهم . . واحترامهم ، وليس معنى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا أن يكون حريصاً على أن يذمّه الناس ويسيئوا به الظنّ .. لا وإنما ينبغي له أن يسير في الدعوة على الطريق السويّ ، لا يريد إلا وجه الله .

ولا يبغي من دعوته أن يكسب المال الوفير . . فما أسوأ الذين يزعمون أنهم يريدون الله ورضوانه، وهم في حقيقة الأمر لا يريدون إلا الدرهم والدينار .

ويتجلى الإخلاص في الداعية في أن يُسَرّ إذا تحقق الخير على يدي غيره كما يُسرّ لو تحقق على يديه .

وللإخلاص أثر كبير في استجابة المدعوين إلى مضمون الدعوة، لأن الإخلاص يكسب صاحبه جرأة منقطعة النظير في الإقدام على ما يرى أنه مصلحة له ، ويكسبه قوة هائلة . . ومن أروع الأمثلة على القوة التي يمنحها الإخلاص لصاحبه : القصة التي أوردها أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء »[1] :

كان عابدٌ من العباد في الأمم السابقة يعبد الله دهراً طويلا فجاءه قوم فقالوا :

— إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى .

فغضب لذلك ، وأخذ فأسه على عاتقه، وقصد الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال :

---

١ — الإحياء : ٣٧٧/٥ ، وقد كتبها توفيق الحكيم على شكل مسرحية : إبليس ينتصر .

ـ أين تريد . . رحمك الله ؟

ـ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة .

ـ قال : وما أنت وذاك ؟ تركت عبادتك ، واشتغالك بنفسك، وتفرغت لغير ذلك .

ـ قال : إن هذا من عبادتي .

ـ قال : فإني لا أتركك أن تقطعها .

فقاتله ، وما هي إلا لحظات ،حتى طرحه العابد على الأرض ، وقعد على صدره ، فقال له إبليس : أطلقني حتى أكلمك .

فقام عنه، فقال إبليس :

يا هذا . . إنّ الله تعالى قد أسقط عنك هذا،ولم يفرضه عليك . وأنت لا تعبدها ، وما عليك من غيرك ؟ ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ، ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعهـــا .

ـ فقال العابد : لا بُدّ لي من قطعها .

ونابذه القتال ، وتصارعا ، فغلبه العابد ثانية ،وصرعه ،وقعد على صدره، فلما رأى إبليس عجزه وضعفه سلك طريق الاحتيال ، وعلم أنّ هذا الرجل ما دام مخلصاً لله فلن تكون قوة في الأرض تغلبه ،أو تثنيه عن عمله . . وبالفعل . . فقد لجأ إلى أن يغير العابد نيته ،وأن يريد شيئاً غير الله وثوابه . . فقال له :

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ هل لك في أمر فصْلٍ بيني وبينك ، وهو خيرٌ لك وأنفع ؟

ـ قال العابد : وما هو ؟

ـ قال إبليس : أطلقني حتى أقول لك .

فأطلقـــه .

ـ فقال إبليس : أنت رجل فقير لا شيء لك . . إنما أنت كَلّ على الناس يعولونك ، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك ، وتواسي جيرانك ، وتشبع ، وتستغني عن الناس ؟

ـ قال العابد : نعـــم .

ـ قال: فارجع عن هذا الأمر . ولك عليّ أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين،إذا أصبحت أخذتهما ، فأنفقت على نفسك وعيالك ، وتصدقت على إخوانك ، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ، ولا يضير عبّادَها قطعُها شيئاً،ولا ينفع إخوانَك المؤمنين قطعُك إياها .

فتفكـــر العابد فيما قال . . ثم قال :

ـ صدق الشيخ ، لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله أن أقطعها ، فأكون عاصياً بتركها ، وما ذكره أكثر منفعة . ثم وضع يده في يد الشيخ وتعاهدا . . وقد عاهده إبليس على الوفاء بذلك، وحلف له .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورجع العابد إلى صومعته ، فبات ، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه ، فأخذهما . وكذلك في الغد .

ثم أصبح في اليوم الثالث وما بعده ، فلم ير شيئاً .

فغضب ، وأخذ فأسه على عاتقه،ومضى إلى الشجرة يريد قطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ ، فقال له :

ـ إلى أين ؟

ـ قال : أقطع تلك الشجرة .

ـ فقال : كذبت ! والله ما أنت بقادر على ذلك ، ولا سبيل لك اليها .

فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، فقال :

هيهـــــات .

وما هي إلا لحظة حتى أخذه إبليس ، وصرعه ، فإذا هو كالعصفور بين رجليه ، وقعد إبليس على صدره . وقال :

ـ لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك .

فنظر العابد، فإذا لا طاقة له به . قال :

ـ يا هذا غلبتني . . فخلّ عني . . وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن ؟

ـ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله ، وكانت نيتك الآخرة فغلبتني بقوة الله .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه المرة غضبت لنفسك وللدينار . . فصرعتك .

والإخلاص بعد هذا كله يكسب الداعية احترام الناس وإعجابهم ، لأنهم بفطرتهم النقية يميزون الطيب من الخبيث .

ويكسبه استجابتهم لدعوته وتأثرهم بها .

فإذا كان الإخلاص بهذه الدرجة من الأهمية والأثر . . فإن على الداعية أن يبالغ في حمل نفسه على الإخلاص ، ويروضها على اجتناب الرياء ، والحذر من مكائد الشيطان ، وحبائل الهوى ، وعليه أن يبتعد عن العجب بالفعل . وألاّ يعبأ بما يسعى اليه الكثيرون من لذة الاستيلاء ، والفرح بالاستتباع .

(٢) الصبر والأمل :

ليس طريق الدعوة ممهداً معبداً ، ولا مفروشاً بالطنافس ، ولا مكتنفاً بالورود والرياحين .

. . إنه على العكس طريق صعب وعر . . تملؤه العقبات والأشواك . . إنه طريق الجهاد ، واحتمال الأسى والتعب . .

قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾[1] فلقد أعقب الأمر بالدعوة بالأمر بالصبر ، مما يدل على أن طريق الدعوة لا يمكن للمرء أن يقطعه إن لم يتدرع بالصبر .

وسيرة النبي ﷺ حافلة بالأمثلة الرائعة في الصبر ، فإننا

١ – لقمان : ٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لنقرأ في السيرة : أن رسول الله ﷺ أقام على أمر الله تعالى صابراً محتسباً مؤدياً إلى قومه النصيحة،على ما يلقى منهم من التكذيب والإيذاء والاستهزاء . . كان أحدهم يطرح عليه عليه رحم الشاة وهو يصلي ، ويعمد الآخر إلى طرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى . . .

وكان صلوات الله وسلامه عليه إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود . . ويقف به على بابه، ثم يقول :

« يا بني عبد مناف ! أي جوار هذا » ؟

ثم يلقيه في الطريق (١)

ونقرأ في السيرة أيضاً ما آلت اليه حالة النبي ﷺ بعدما مات أبو طالب،حيث نالت قريش منه إيذاء وعدواناً مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب . . حتى خرج ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف،ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله .. فما كان منهم إلا أن أغروا به سفهاءهم، وعبيدهم، يسبونه،ويصيحون به . . حتى اجتمع الناس عليه، وألجؤوه إلى بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، فجلس فيه، وقال هاته الكلمات ،التي لا تبلى على وجه الدهر،والتي تمثل لنا

(١) كتب السيرة ، وانظر تقريب السيرة ، ص ١٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

روح الرسول الداعية، الصابر، المتكل على الله، المعتز به الثابت على شرعته :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهوَاني على الناس . يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكتّه أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي .

« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك ، أو يحلّ عليّ سخطك .

« لك العُتبى حتى ترضى . . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

إنه الصبر الذي تتفجر بسببه ينابيع العزم والثبات ، وليس صبر اليائس الذي لم يجدْ بُدّاً من الصبر فصبر .

إنه الصبر المُتسَرّع بأعظم أنواع الأمل العريض .

ويتجلى ذلك أيضاً في سيرة الرسول ﷺ الذي كان يتوقع أن يخرج الله من أصلاب الكفار، أعدائه وأعداء الله، من يقول: لا إله إلا الله .

والصبر – إذا اقترن بالأمل – عصمةٌ للداعية عن الانقطاع ، ويقوده إلى أن يقوى على تحقيق كثير مما يريد .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعلوم أن اليأس ليس من صفات المؤمنين ، وصدق الله العظيم :

﴿ولا تَيْأسوا مِن رَوْحِ الله، إنّه لا يَيْأس من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون﴾ (١).

(٣) الزهد والقنـــاعة :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! دلّني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس .

فقال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »(٢) .

وحبّ الناس لمن يتصدى للدعوة أمر ضروري حتى يحقق ما يريد ، والمعروف أن الناس عندما يرون تكالب إنسان على المال ينفرون منه . أما إذا رأوا منه زهداً بالمال ، وإعراضاً عن الدنيا ، تعلقوا به أيما تعلق .

وإننا نقرأ في التاريخ أن معظم الدعوات التي لاقت رواجاً عند الناس ،ولا سيما المنحرفة منها، كان دعاتها من أشد الناس

---

١ – يوسف ٨٧ .

٢ – قال النووي : حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زهداً، ولذلك كان الناس يجتمعون عليهم ويسيرون وراءهم [1]

ولقد أعجب المنصور بعمرو بن عبيد القدري لأنه رفض أن يأخذ عطيته، ومدحه مدحاً لم يحظَ به أحد من الناس [2]

من أجل ذلك كان على الداعية أن يرفض أي نفع ماديّ يمكن أن يأتيه عن طريق دعوته .. فإن ذلك أدعى إلى تأثر الناس به .

ومن المؤسف أن هناك نفراً من الممتهنين للشحاذة رأوا في الظهور بمظهر الوعاظ وسيلة رابحة .. فانطلقوا يجوبون الديار .. يدعون إلى الله ليأكلوا، ويسألوا الناس فضلات أموالهم وأوساخهم .. فيجلبون لأنفسهم الذل، ولدعوتهم الخيبة، وقد حدثني بعض الدعاة الصادقين، الذين كانوا يجولون في القرى، أنهم كانوا يلقون إعراضاً من أهل القرية في بادىء الأمر وامتهاناً، لأن الناس هناك حسبوهم مثل أولئك الدجالين الذين ابتلوا بهم .. يأتونهم ليتسولوا باسم الوعظ .. مما حدا بهؤلاء الإخوة الصالحين أن يأخذوا على أنفسهم عهداً أن لا يذوقوا طعاماً في قرية أتوها قط .. فكان ذلك سبباً في استفادة الناس منهم .. واحترامهم لهم .. ونجاحهم في دعوتهم .

---

(١) من هؤلاء صاحب القرامطة والحلاج (انظر رسالة القرامطة لابن الجوزي بتحقيقنا ، والبداية والنهاية لابن كثير ١١ – ١٣٢)

(٢) قال فيه : كلكم يمشي رويد كلكم طالب صيد
غير عمرو بن عبيد
(وانظر تاريخ بغداد ١٢ – ١٦٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن جميل ما قرأت في الزهد وعدم استغلال الدعوة أن أحد العلماء الصالحين الدعاة ذهب يشتري من دكان حاجة ، فلما جاء إلى الدكان وسام السلعة التي يريد شراءها، لم يعرفه البائع ، فقام أحد الموجودين بتعريفه عليه قائلا: إنه الرجل الصالح والعالم العامل فلان . . فعندما سمع ذلك ولّى هارباً . . فناداه البائع : إلى أين يا سيدي؟ فقال : أريد يا أخي أن أشتري بمالي لا بديني [1] .

ولقد وعظ أحدُ الدعاة الرشيد فقال :

يا أمير المؤمنين ! من رزقه الله مالا وجمالا، فعفّ في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار .

فظنّ الرشيد أنه يريد شيئاً فقال :

ـ إنا أمرنا بقضاء دينك .

ـ فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين . أردد الحق إلى أهله ، واقض دين نفسك بنفسك .

ـ فقال الرشيد : إنا أمرنا أن يجري عليك رزق تقتات به .

ـ قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني . . وها أنذا قد عشت لم تجر عليّ رزقاً . . انصرف لا حاجة لي في جرايتك .

ـ قال : هذه ألف دينار ، خذها .

---

١ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ قال : ارددها على أصحابها فهو خير لك . وما أصنع أنا بها ؟(١)

فكبر في عين الرشيد وتأثر به أشدّ التأثر .

إن الداعية الناجح هو الذي يزهد فيما عند الناس فيكسب حبهم وثقتهم .

وإن عدم الاستغلال دليل إخلاص الداعية ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ وبرهان على رغبته في إنجــاح دعوته . ولا بُدّ من تعقيب على هذه الناحية بكلمة هامة :

وهي أننا إذا طالبنا الداعية بالزهد والقناعة، فإنه ينبغي علينا أن نقوم نحن بحاجاته ، وأن نضمن له مستوى من العيش كريماً ، وأن نعمل على كفايته وتأمين معاشه ، بما يضمن له كرامته .

إنّ كرامة الداعية من كرامة الدعوة . . ولا يجوز بحال من الأحوال أن يكون أهل الخير بعوز، والدعاة إلى الله بحاجة .

إن الإسراف في الخيال والمثالية يقعد بدعوتنا ودعاتنا، فلا يستطيعون أن يقدموا شيئاً لدعوتهم .

فعلى الداعية أن يأخذ نفسه بهذا الخلق الهام، وهو التعفف عما في أيدي الناس ،وعلى جماعة المسلمين أن تصون ماء وجهه

---

١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأن توفر له الراتب الجيد والوضع المعاشي الكريم .

(٤) الجرأة والصمود

إن قلب الداعية إذا امتلأ إيماناً بدعوة الإسلام ، وبأن ما قدّره الله واقع لا محالة ، وبأنّ قدرة الله أكبر من كل قدرة سواها ، وبأن النفع والضرر والموت والحياة ، والرزق من الله ، وبأن عليه واجب تبليغ شرع الله،إذا امتلأ قلبه بذلك كله لم يعد يبالي بشيء .

وما أشد حاجتنا اليوم إلى دعاة من هذا الطراز . . لا يبالون بالأنظمة القائمة والحضارة الغازية ، وبالطواغيت المتحكمين . . وإنما يعلنون دعوتهم بكل جرأة ووضوح على رؤوس الأشهاد دون خوف أو وجل ، يصدعون بالحق،لا يخافون لومة لائم . . وهم في ذلك يبغون إحدى الحسنيين : فإما أن يستجيب لهم هؤلاء المدعوون،فيفوزوا بالخير الأعظم : « لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم »[١]

وإما أن يقرنوا مع سيد الشهداء :

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »[٢].

هذه هي الجرأة ، وأما الصمود والثبات ، فإن الجريء

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي، والحاكم في « مستدركه » ٣ – ١٩٥ عن جابر ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا امتحن يجب أن يكون صامداً ثابتاً ، وفي السيرة صفحات مشرقات عن ثبات بلال وعمار وياسر وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود وغيرهم .

وتاريخ الدعوة والدعاة على مرّ العصور مفعم بأقاصيص أبطال لا يهابون الموت ، ويقولون كلمة الحق ، ويصرخون في وجوه الطغاة والظالمين .

لما ولي ابن هبيرة العراق وخراسان نيابة عن يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري، فذكر له أن الخليفة قلده ما قلده قال له : فما تقول ؟

قال : يا ابن هبيرة ! خَفِ الله في يزيد ، ولا تخف يزيدَ في الله . فإن الله يمنعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله . ويوشك أن يبعث اليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك .

يا ابن هبيرة ! إياك أن تعصي الله ، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله تعالى وعباده . فلا تتركن دين الله وعباده لهذا السلطان، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [1]

وذكر ابن السبكي أن أول من امتحن في فتنة القول بخلق

---

(١) شذرات الذهب ١ – ١٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن من العلماء أبو عثمان عفان بن مسلم الحافظ ، ولما دعي وعرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع قيل :

قد رسمنا بقطع عطائك ، وكان يعطى ألف درهم في كل شهر .

فقال : ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾[1]

وكانت عنده أسرة كبيرة .

فحدث أن دقّ عليه الباب داقّ في ذلك اليوم لا يُعرف وقال :

ـ خذ هذه الألف ، ولك كل شهر عندي ألفٌ يا أبا عثمان ، ثبتك الله كما ثبّتّ الدين [2]

وذكر ابن كثير أن السلطان شهاب الدين محمد بن سام صاحب غزنة كان يجلس في مجالس وعظ الفخر الرازي ، وكان السلطان يبكي حين يقول الرازي في آخر مجلسه :

يا سلطان ! سلطانك لا يبقى . ولا يبقى الرازي أيضاً وإنّ مردّنا جميعاً إلى الله [3]

ونقل ابن كثير أيضاً عن الأوزاعي يحكي قصة دخوله على عم السفاح عبد الله بن علي في دمشق . يقول الأوزاعي :

---

١ – الذاريات ٢٢ .

(٢) طبقات الشافعية ١ – ٢٠٩ .

(٣) البداية والنهاية ١٠ – ١١٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

– دخلت عليه وهو على سرير ، وفي يده خيزرانة ، والجند الذين يلبسون السواد عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلتة ، فسلمت عليه فلم يرد ، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ، ثم قال :

– يا أوزاعي ! ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد : أجهاداً ورباطاً هو ؟

– فقلت : أيها الأمير ! سمعت يحيى بن سعيد يقول : سمعت محمد بن ابراهيم يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى »(١).

فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل مَن حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم، ثم قال :

– يا أوزاعي ! ما تقول في دماء بني أمية ؟

– فقلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »(٢).

---

(١) والحديث رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبدالله بن مسعود .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟

ـ فقلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي .

فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ، وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي . . . ثم أمرني بالانصراف (١)

٧ ـ التفاهم بين الدعاة وتنسيق خطواتهم في الدعوة :

إن مما يحقق الهدف المرجوّ أن يقوم تفاهم بين الدعاة إلى الله، وتنسيق في خطواتهم ، حتى يكمل بعضهم جهود بعض .

ولا بدّ من وضع خطة للعمل في الدعوة إلى الله ، والحرص على أن تنفذ مراحل هذه الخطة بكل دقة وأمانة وإخلاص .

وما لم يوجد مثل هذا التفاهم والتنسيق فالجهود ضائعة والمسؤولية على الجميع .

والأمر الذي لا يجوز أن يغيب عن بالنا هو :

أن الدعوة تحتاج إلى متفرغين ، ويجب على كل كاسب من المؤمنين أن يخصص جزءاً من كسبه لهذا المجال .

أما إذا بقيت الدعوة مضيعة، كما هو الحال في معظم بلاد المسلمين أو معتمدة على فضلات أوقات بعض الطيبين ، كما في بعض البلاد الأخرى، فلنعلم أننا لانكون قد صنعنا شيئاً بالنسبة

---

(١) البداية والنهاية ١٠ ـ ١١٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لعقيدتنا .

وإنني أكاد أصل في قيام متفرغين إلى القول بوجوب ذلك، لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وواجب الدعوة ونشر دين الله لا يتم إلا بقيام متفرغين .

وعندما يتوافر المتفرغون ، فإن التفاهم فيما بينهم ، وتنسيق خطواتهم في الدعوة ، والتعاون على رسم خطة للعمل تستوعب الإمكانات والكفاءات ، أمر يضحي ميسوراً .

وعندما تضمن وجود أناس متفرغين للدعوة في كل بلدة من بلاد المسلمين نستطيع أن نطمئنّ إلى أن هذا الواقع آخذ بالتغيير .

أيها المسلمون !

إن أعداءكم يُفَرِّغُون لنشر افكارهم الهدامة الكثير ... أفلم يأنِ لكم أن تنتبهوا ؟ !

إن واقعكم مؤلم ، وإن مصيركم ومصير أبنائكم كالح مظلم ، وإن تقصيركم يجر الدمار عليكم وعلى الإنسانية كلها . وإن إمكانية تلافي ذلك متاحة لكم اليوم وربما لا تكون غداً كذلك .

أيها المسلمون !

أين نحن من الاستجابة لما تتلهف اليه الإنسانية راكضة لاهثة ، تسعى وراء أمنية العيش الآمن الرغيد ولا تجده ، وفي ديننا بغيتها ؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أين نحن من السبب الذي به فلاحنا كما تقول الآية :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[1]

ما أحوج المسلمين في كل بلد من بلدانهم إلى توافر عدد من الدعاة ، متعاونين متفاهمين ، يحمي كل فرد منهم ظهر أخيه ، فلا يسمح لأحد أن ينال منه شيئاً ، ويتبادلون الخبرة فيعطي كل منهم تجاربه الخاصة لإخوانه .

إن أبشع ما يشكوه الواعون من المسلمين هو اختلاف الدعاة وتنازعهم لأبسط الأسباب ، كأن يتنازعوا على الأتباع كذلك مما يشكوه المخلصون الارتجال والفردية والفوضى التخلف عن المستوى المطلوب .

إن على هؤلاء الدعاة أن يرتفعوا بأنفسهم عن هذا الواقع المؤلم ، وأن ينهضوا بطاقاتهم ليكونوا في الدرجة التي تقتضيها دعوتهم ، وأن يستكملوا جوانب القدرة الضرورية لنجاحهم وأن يعملوا على التحلي بهذه الصفات الرئيسية التي تعرضنا لها في هذه الرسالة ، وأن يبذلوا جهدهم لتتوافر لهم الوسائل التي جاءت بها الحياة الحديثة .

إنهم مدعوون إلى أن يحملوا مسؤوليتهم كاملة ، وأن يواجهوا نفوسهم وأهواءهم بكل جرأة ، وأن يضاعفوا من عملهم .

---

١ – سورة آل عمران ١٠٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن لم يفعلوا فإن الدائرة ستدور عليهم ، والفرصة المؤاتية تفوت ، والخسارة على كل حال لاحقة بهم وبدعوتهم .

ألا ... هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أسأل الله أن يهب لنا من لدنه رحمة وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً ، وأن يوفقنا إلى الخير وأن يجعلنا من الدعاة لدينه المجاهدين لإعلاء كلمته إنه سبحانه سميع مجيب .

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض منشورات

المكتب الاسلامي
للطباعة والنشر

كشف الشبهات

تأليف

الامام محمد بن عبد الوهاب

المظالم المشتركة

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي

صفة

صلاة النبي ﷺ

من التكبير الى التسليم كأنك تراها

تأليف
محمد ناصر الدين الألباني

صلوا كما رأيتموني أصلي
(رواه البخاري)

شبكة الألوكة - قسم الكتب